

دراسة في آراء وبعض مؤلفات  
"أبو القاسم سعد الله"

أوكيل مصطفى باديس\*

تختلف درجة اهتمام الشعوب بتاريخها حسب درجة الوعي عندها ومدى نمو الثقافة بها، وينشط المجتمع إذا نشطت الحياة الفكرية والتاريخية وتنوعت الأفكار المعالجة وتضاربت نظرة المؤرخين حسب اختلاف معارفهم ومصادر دراستهم، لذا نجد بعضهم يكتب بقلم حماس ثوري هائج والبعض الآخر يكتب أو يرى التاريخ حسب نظرة من سبقوه، فنجد مقلدا دون تجديد يذكر وفريق ثالث وسطي ما هو مقلد ولا مجدد، ومن هنا يمكن القول أن الكتابة التاريخية عملية متجددة يمارسها كل جيل بالقدرة العقلية التي وصلها، والوثائق المتوفرة لديه، والمستجدات الحضارية التي تحيط به. وتخضع عملية الكتابة عندئذ لما عليه الجيل من ثقافة ووثائق وإبداعات حضارية.

فإذا كان الجيل المدون للتاريخ مثقفا جدا فإننتاجه سيكون مرآة لثقافته وقدرته العقلية، وإذا كان متوسط الثقافة أو حتى قريب من الأمية فإن إنتاجه سيكون مرآة له أيضا. وكل جيل يحاول أن يعثر على وثائق جديدة أو يحاول أن يفسر الوثائق المتوفرة تفسيرا جديدا حسب المعطيات والرؤى التي عليها الجيل الكاتب، وهذا معنى التجدد في الكتابة التاريخية. وقد نجد بعض الدارسين يرغبون في دراسة التاريخ والبحث من جهة ربطه بالعلوم، وهذا ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله، الذي سنحاول من خلاله تسليط الضوء على بعض مؤلفاته التي اقترنت به واقرن بها، وقد استعرض سعد الله عضلات لسانه الفكرية والثقافية، ووظف فيها أفكاره وأفكار العديد من الباحثين العرب والغرب الذين أثروا في التاريخ الجزائري

\* - أستاذ مساعد أ في تاريخ المغرب الإسلامي - قسم العلوم الإنسانية - جامعة البويرة.

الحديث ووضعوا فيها لمساتهم التي لا تمحوها السنون، وظلت تذكرها الأجيال، وتلهج بذكرها الألسن.

لقد حاول وما زال سعد الله من خلال كتاباته ومحاضراته كشف الستار عن مراحل ومحطات هامة في تاريخ الشعب الجزائري، وكان يهدف إلى إعادة كتابة تاريخنا بموضوعية، وبتعبير دقيق يشحذ الفكر ويعزز الاستقلال بالذات، وإحياء وبعث الروح النقدية محارباً كل طرق المسخ والنسخ، الذي ضرب بأطنابه النخب الفكرية الجزائرية. وهذا ما سنحاول تفصيله في هذا المقال.

نبذة عن حياة أبو القاسم سعد الله: ولد أبو القاسم سعد الله في بلدية قمار بولاية وادي سوف في الفاتح جويلية 1930م من أسرة فقيرة كانت تعيش على فلاحه التبغ والنخيل، حفظ القرآن الكريم في الوقت الذي كان يمارس فيه الفلاحة مع أهله من أجل الاستعداد ليكون طالبا في أن واحد. وفي سنة 1947م سافر أبو القاسم سعد الله إلى تونس حيث قضى بالزيتونة سبع سنوات حصل فيها على الأهلية سنة 1951م، ثم التحصيل سنة 1954م، وخلال دراسته بالزيتونة نشر في جريدتي النهضة والأسبوع التونسي وفي جريدة البصائر الجزائرية وجريدة الآداب اللبانية العديد من القصائد والمقالات، كما ساهم أيضا في إنشاء رابطة القلم الجديدة سنة 1952م مع أعضاء تونسيين من بينهم الأستاذين "الشاذلي زوكرار" و "منور صمادح".<sup>(1)</sup> وأثناء انفجار الثورة عاد إلى أرض الوطن متوجها إلى الجزائر العاصمة لأول مرة ومن هنا بدأ مهنة التدريس بمدرسة الثبات بالحراش ثم انتقل إلى مدرسة التهذيب بعين الباردة بضواحي العاصمة، وفي هاته الفترة عايش ما كان يحدث في الجزائر من اضطرابات واضطهادات مما أثر في نفسيته وعلى إنتاجه الفكري، ولعل ذلك الأثر يظهر من خلال القصائد التي نظمها عن الثورة، كما كتب عدة مقالات في جريدة البصائر لأنه كان متأثرا بفكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لم يكتف سعد الله بهذا القدر من العلم فقرّر الرحيل إلى مصر من أجل رفع مستواه العلمي فالتحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة القاهرة في أكتوبر 1955م، ومن هناك تحصل على دبلوم صحافة 1957م حيث راسل البصائر واشتغل لمدة سنة في مجلة العالم العربي.<sup>(2)</sup>

وإلى جانب تمكنه من اللغة العربية فقد درس اللغة الفرنسية في المدارس الحرة، أما في جامعة القاهرة فقد درس الانجليزية والفارسية ثم تحصل على شهادة ليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية في 1959م، واثّر ذلك وضع نفسه تحت تصرف سلطات جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، وفي نفس الوقت سجل في الدراسات العليا في كل من جامعة القاهرة ومعهد الجامعة العربية كما كان منخرطاً في الاتحاد الطلابي<sup>(3)</sup>.

في صيف 1960 نجح في السنة الأولى للماجستير وكتب دراسة عن الشاعر محمد العيد آل خليفة لكي تكون أطروحته، وفي نفس السنة سافر في بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودخل جامعة "ميسوتة" التي حصل فيها على دكتوراه في التاريخ الأوروبي الحديث والعلوم السياسية في 1965م، وتعتبر هذه البعثة أول سفر "لسعد الله" إلى بلد غير عربي، ومنذ وصوله انضم إلى فرع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وإلى منظمة الطلبة العرب بأمريكا، وإلى جمعية الطلبة الأفريقيين "بميسوتة" ومن خلال مشاركته في هاته الجمعيات استطاع التعريف بالثورة الجزائرية وأهدافها وذلك بإحياء ذكراها في كل سنة وتوزيع المطبوعات التي كانت تصله من مكتب جبهة التحرير الوطني بنيويورك، وجمع التبرعات للاجئين وعرض صور الكفاح المجيد، وبعد تحصله على الدكتوراه بدأ يعمل أستاذاً للتاريخ في جامعة "ويسكنسون بأوكليز" ودرس تاريخ الحضارة الأوروبية والشرق الأدنى وأفريقيا الحديثة، وبعد ممارسته التعليم لمدة سنتين في جامعة "أوكليز" التحق في خريف 1967م بجامعة الجزائر<sup>(4)</sup>.

أ- مؤلفات سعد الله

- تاريخ الجزائر الثقافي: الهدف منه إنتاج عمل يكشف عن مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية، وذلك أن سعد الله قد وجد نقصاً كبيراً في المكتبة العربية عن مساهمة الجزائر في الحضارة العربية الإسلامية<sup>(5)</sup>.

إضافة إلى ذلك أن البحث في الثقافة الجزائرية في الماضي يكاد يكون منعماً عكس البحث في التاريخ السياسي والاقتصادي والذي هو بذاته متوفر نسبياً، ويضيف باعتباره أن المستعمرين الفرنسيين كانوا ينفون في كتاباتهم وجود ثقافة جزائرية، وكان هدفهم في ذلك هو الطعن في الشخصية الجزائرية حتى يتمكن لهم تذويب الجزائر في فرنسا. وزاد إهمال الدارسين العرب والمسلمين لتاريخ الجزائر، الأمر الذي أدى به إلى البحث والتنقيب في

الثقافة الجزائرية وحرصه على الهوية والعروبة. والمعلوم أنه ركز في الدراسات التاريخية على الجانب الإيديولوجي والثقافي، وباعتباره داعية كبير من دعاة العروبة وتعزيز القومية باعتبارها هوية الجزائر الوطنية الثابتة.

ومع ذلك فإن لهذا الكتاب رسالة واضحة، فنحن إلى الآن لا نملك تاريخا لثقافتنا يحدد معالمها ويكشف عن قيمتها ويضبط علاقتنا بها، وقد كانت هذه الثقافة عربية إسلامية اشترك فيها الجزائريون، فهي ثقافتنا، التي نستمد منها اليوم ذاتنا وحقيقتنا.

لقد وضع سعد الله في بداية عمله لهذا الكتاب خطة ليكون في ثلاثة أجزاء، يتناول في الجزأين الأولين منه العهد العثماني من فاتح القرن العاشر إلى بداية القرن الثالث عشر للهجرة (16-19م)، وفي الجزء الثالث العهد الفرنسي، فإذا اتسعت مادة هذا العهد يغطيه بجزأين آخرين.

بعد اطلاعنا على هذا الإنتاج اتضح أنه حلقة بين إنتاج عاش في ظل إمارات محلية ضعيفة، وإنتاج عاش في ظل وجود إسلامي مركزي، فقد تناول القرن التاسع للهجرة (15م) باعتباره مرحلة هامة في تطور الثقافة التي ورثها العهد العثماني فإننتاج هذا القرن امتد ثلاثة قرون بعد عهد الموحدين<sup>(6)</sup>.

أما فيما يخص سنة 1930م إلى غاية 1954م، فقد تناول فيها الطرق الصوفية من أصولها وفروعها ومبادئها ومصطلحاتها، وكذلك تطورها السياسي والاجتماعي والمعنوي، ثم مواردها وعلاقتها بزبائنها وأتباعها، ومن هنا قام بدراسة الطرق الصوفية في الجزائر منذ حوالي قرن ونصف وتطورها مع الزمن المتغير، للتسهيل على القارئ دراسة الطرق الصوفية التي ظهرت في الجزائر.

بالإضافة إلى ذلك تناول مواضيع رئيسية من بينها الديانة الإسلامية والقضاء الإسلامي، وقد تضمن شؤون الديانة ورجال الدين والقضاء، ودراسة اختصاصهم وأصنافهم وأنشطتهم ودورهم، وعلاقتهم مع السلطة الفرنسية، التي استحوذت بالتدرج على كل اختصاص - القضاء الإسلامي -، وقام بالتطرق إلى البنائات الإسلامية من مساجد وزوايا وأضرحة في العهد الفرنسي، كما قام بدراسة الأوقاف وسبل الخيرات وبيت المال.

إضافة إلى ذلك تناول الكنيسة واللجان والجمعيات العلمية، وقد ظهرت في مجال الصحافة والأدب والعلوم<sup>(7)</sup>.

كما تناول ظهور النخبة الإدماجية، وهي فئة إدماجية قليلة تعلمت في مدارس فرنسية خاصة بالأهالي، وقد ذكر بعض المدارس الفكرية الفرنسية التي سددت سهامها إلى الجزائريين لتدمير هويتهم والظعن في تاريخهم وأصولهم العربية والبربرية، والغرض من دراسته وتحليله لهذه الفئة هو الاستيعاب والإحاطة.

وقد أحاطت دراسته بالتاريخ والتراجم والرحلات، فقد قام بذكر أهم ما طرأ على مفهوم التاريخ وما تفرع منه من تغيرات، وغرضه من ذلك هو توضيح الميادين التي اهتم بها المؤرخون الجزائريون في عهد الاحتلال، وقد احتل التاريخ المحلي قسما كبيرا من هذا الكتاب، وقام بتفسيره إلى ما يتعلق بالغرب الجزائري وما يتعلق بالشرق والجنوب.

**زيادة على ذلك قام بتناول النثر الأدبي والفني ومسائل اللغة من دراسات ومعاجم، وقام بمعالجة الشعر الفصيح والملحون، خلال أكثر من قرن (1830-1954م)، أما فيما يخص الشعر الفصيح فكان فيه القوي والضعيف والجميل وغير ذلك، وتناول الإنتاج المتصل بالفنون وتطور موضوعاتها ومساهمته فيها. وعالج الفنون المعمارية من الوجهة الأسلوبية مثل القصور والمباني الحضرية، والمتاحف، وما وضع فيها من نماذج معبرة عن الفنون العامة<sup>(8)</sup>. كما قام بتخصيص جزء كامل للفهارس العامة فقط، والتي هي سبعة فهارس تغطي الأجزاء الكاملة للكتاب، وهي فهرس الأشخاص والأماكن والكتب والدوريات والجرائد، وفهرس الشعوب والقبائل، والأقوام، ومذاهب الطرق الصوفية.**

- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر: أما كتاب أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر فهو صفحة هامة من صفحات سعد الله في خدمة التاريخ وخدمة الأجيال في ضوء العلم الحديث والتقدم البشري، والحفاظ على العروبة والهوية الوطنية، مثلما قال: «المؤرخ الحق هو الذي يفرق بين ميوله الشخصي ومهمته القومية والوطنية والإنسانية»<sup>(9)</sup>، أي أنه لا يكتب التاريخ حسب أهوائنا وميولنا، وإنما حسب منطق ومفهوم الوثائق. ومن هنا قدم لنا سعد الله كتاب " أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" من خمسة أجزاء، يتضمن مجموعة من الأبحاث والمقالات في تاريخ الجزائر، إضافة إلى تسليط الضوء على بعض الموضوعات، تتوزع على مراحل التاريخ الوطني في العصور الحديثة، وبعضها مطول ومعقد، وبعضها قصير لا يعدو أن يكون رأيا في كتاب أو استنباطات من وثيقة، وهي قريبة العهد باستثناء القليل لا تنصب إلى أبعد من سنة 1980م

والواقع أن هذه المقالات والبحوث تركز خاصة على العصور الحديثة، وتتناول مسائل تكاد تكون مطروحة بكثرة اليوم ولكنها لا تزال معلقة، وتسלט الأضواء على جوانب من المشاكل التاريخية، وقد تبين لنا أن هذه المقالات كتبت في فترات متباعدة يعود بعضها إلى بداية الستينات ويعود آخرها إلى سنوات قريبة، وكان بعضها عبارة عن إجابات سريعة لبعض السائلين أو تعاليق قصيرة على بعض المواقف، إضافة إلى ذلك أنها تضم آراء مترجمة أيضاً، وفيها الأبحاث الشخصية المضنية، وفيها التعاريف بالكتب، وفيها ما يتناول القضايا المجردة وما يتناول القضايا من خلال أشخاص لهم دور في تاريخ البلاد.

إضافة إلى ذلك تضمن الكتاب مجموعة من الأبحاث والمقالات حول تاريخ الجزائر، قام "سعد الله" بكتابتها خلال السنوات القليلة الماضية، نتيجة مساهمته في مجال البحث العلمي، وهناك مقالات تعبر عن توضيح موقف أو تقييم وضع، ولكنها جميعاً تصب في مجال الرأي حول تاريخ الجزائر، وقد ضم مواضيع بحثية وشخصية مثل الأمير "شكيب أرسلان" والقضية الجزائرية، والمستشرقين الفرنسيين وتعليم اللغة العربية للفرنسيين، وتضمن ترجمات مثل بحث الاستعمار والثقافة الشعبية في الجزائر، وانتفاضة 8 ماي 1945م.

إضافة إلى مقالات دعوة خير الدين التونسي في الجزائر، وجمعية العلماء المسلمين والسياسة، واهتمامات جمعية العلماء بقضايا المغرب العربي<sup>(10)</sup>.

إضافة إلى ذلك تضمن الكتاب بعض تعريفات ببعض أعمال التراث، ومن أبرز ذلك رحلة "أبي عصيدة البجاني" إلى الحجاز وكتابه المفقود "رسالة الغريب إلى الحبيب"، وكتاب "الرسالة"، والكرة الفلكية لابن حمادوش، وقد أضاف إلى ذلك مرض "ابن خلدون" وأثره على إنتاجه، والربط بين الحميرية والبربرية الذي يلم الجزائر كما يلم غيرها.

أما المقالات الفكرية في هذا الكتاب فقد أشار "سعد الله" إلى إشكالية الكتابة التاريخية التي تعتبر مساهمة مخصصة في قضية الجدل.

- الحركة الوطنية الجزائرية: هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو غيض من فيض هذا الرجل الذي أعطى جهداً كبيراً في سبيل الرفعة والعزة للوطن وأهله، ولم يكن كل هذا الجهد مانعاً لسماحته من الإضافة الكتابية العديدة، التي أضاف من خلالها الكثير إلى المكتبة الوطنية خاصة والمكتبات العربية عامة.

إن الاشتراك في الأرض الواحدة والوطن الواحد لابد أن يخلق علاقة طيبة وإيجابية، لأن الوطن كالسفينة الواحدة التي إذا تعرضت لأي خطر فالخطر على الجميع والنجاة للجميع. المعلوم أن تاريخ الجزائر فيه بعض التزييف، وهذا ما جعلنا نحاول في كل مرة البحث عن الحقيقة التاريخية، وهو ما جعل الغير كذلك يجد أرضا خصبة لتزييف بعض الحقائق التاريخية، فأخذ يكتب لملاء الفراغ كما يهوى، زد إلى ذلك أن الجزائريين لظروف تاريخية تركوا الأجانب يكتبون لهم تاريخهم، وبالأخص الفرنسيين بحكم استعمارهم لبلادنا ومعرفتهم لتفاصيلنا. الأمر الذي دفع "سعد الله" إلى تقديم هذا الكتاب تحت عنوان "الحركة الوطنية الجزائرية" بأجزائه الأربعة والذي كتبه بعد بحث طويل ودراسة وتدریس سنوات طويلة، وهو الأمر الذي يعتبره "سعد الله" الأرضية التي ينطلق منها الباحثون في تاريخ الجزائر<sup>(11)</sup>، أي أنه كتاب موضوعي، إضافة إلى ذلك فإن جذور الحركة الوطنية ترجع إلى الصدامات الأولى مع الاحتلال.

إن هذا الكتاب هو دراسة تاريخية لحركة رد الفعل الجزائري الذي نتج عن الحكم الفرنسي.

ومن العوامل التي دفعت المؤلف إلى تناول هذا الموضوع، هو عدم وجود دراسة جادة عن الحركة الوطنية الجزائرية، وطريقة تناول الفرنسيين لتاريخ الجزائر كتابة وتفسيرا.

إن رد الفعل الجزائري ضد فرنسا، قد اخذ عدة أشكال واستعملت مختلف الوسائل حسب الظروف، وقد عبر عن نفسه في شكل معارضة سياسة، ومقاومة عسكرية، وقد تضاعفت هذه الحالة نتيجة ظهور النخبة الجديدة والمناداة للعلماء بالإصلاح، وظهور الصحافة الوطنية، الأمر الذي أدى إلى اندلاع النهضة الجزائرية خلال العقد الأول معتمدة على تراث عظيم من المقاومة التي شاركت فيها جميع الطبقات الاجتماعية، ومن هنا يتبين أن الجزائر كانت تعيش ثقافيا نهضة نشيطة نسبيا خلال الفترة الممتدة ما بين 1900 و1930م.

بالإضافة إلى ذلك فإن الحركة الوطنية قد عرفت واكتسبت صلابة على مر السنين وعاشت تجارب مختلفة، وانتشر الوعي الوطني لدى مختلف الطبقات، وبرزت على المسرح عدة عناصر جديدة لم تكن واضحة خلال العقود السابقة، وتشكلت هيئات وأحزاب جديدة أهمها: جماعة النخبة، وهيئة النواب، جمعية العلماء المسلمين، وجمعية الطلبة بالإضافة إلى نجم إفريقيا الشمالية وحزب الشعب الجزائري.

بعد اطلاعنا على هذا الكتاب وكمنهج عام يبين لنا انه يتناول مراحل تاريخية مهمة ومختلفة عن بعضها البعض فقد تناول الحركة الوطنية بقسميها العسكري والسياسي<sup>(12)</sup> اللذين يختلفان اختلافا جوهريا، فقد كان عهد الاستعمار في شكله العسكري والمدني خلال القرن 19م صفحة سوداء. إن تاريخ هذه المرحلة لا يزال غير مدروس، ولاحظنا أيضا أن هناك تداخل في معلومات التاريخ السياسي والتاريخ الثقافي أحيانا، فالمؤسسات الدينية وعلماء الطرق الصوفية، إضافة إلى التشريعات الخاصة عن الأوقاف والمؤسسات الدينية، ودور الطرق الصوفية العسكري والسياسي، إضافة إلى ذلك تطرق إلى التحدي الذي أبداه الجزائريين للغزاة والذي تولد عنه ردود فعل مختلفة، مدنية وعسكرية، فالعنف والتعصب الديني والاعتداء على الأملاك الشخصية والدينية أدى إلى إشكال مختلفة من المقاومة كل بحسب طاقته، وكان ذلك مدعاة للبحث عن الوحدة وجمع الصفوف ضد العدو بالدين والوطن وكذلك هو ما يعرف بالضمير الوطني.

- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال): الفترة الانتقالية من العهد العثماني إلى العهد الفرنسي في الجزائر لم تعط حقها من العناية رغم أهميتها في تطور حياة المواطن الجزائري، وهذا الكتاب الذي هو بين أيدينا قد نشر سنة 1970م بعنوان "تاريخ الجزائر الحديث" - "بداية الاحتلال" لكن "أبا القاسم سعد الله" رأى في هذا العنوان على أنه أكبر من حجمه لأنه لا يدرس جميع مدلول العنوان فأعاد نشره بعنوان محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "بداية الاحتلال"، مستهدفا في ذلك دراسة الفترة الانتقالية من العهد العثماني إلى العهد الفرنسي، وقام بتوسيعه وتحديد زمانه إلى حوالي 1848م، واقترح عليه بعضهم أن يكون هذا الكتاب جزء من الحركة الوطنية، لكن سعد الله "فضل الإبقاء على ما هو عليه في معرفة تاريخ الجزائر، وقد بذل الكتاب الفرنسيون جهدا خاصا في دراسة عهد الاحتلال الفرنسي ولكنهم اكتفوا بوصف العهد العثماني بالتأخر والاستبداد وبوصف المواطن الجزائري أثناءه بالخضوع والضياع، لهذا تعرض "أبو القاسم سعد الله" في كتابه والحركة الوطنية الجزائرية إلى بعض مظاهر هذه الفترة الانتقالية ولكنه تعرض مقتضب.

- "La Montée du Nationalisme en Algérie": فمن خلال تصفحنا لمؤلفات "أبي الاسم سعد الله" التاريخية منها، وجدنا كتابا باللغة الفرنسية بعد أن كان باللغة الانجليزية، ويتطرق المؤلف في هذا الكتاب لتاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر، كما يتحدث عن ردود فعل الجزائريين لهذا الاحتلال، وذلك لعدم وجود أبحاث تاريخية صادقة وصريحة لبعدها الحركة الوطنية "Nationalisme" في الجزائر وخاصة بعد تزوير الحقائق عن الحركة من طرف بعض الباحثين الفرنسيين قائلا: "نحن ضحايا الاستعمار الفرنسي الذي فرض علينا لغته وأهملنا بذلك لغتنا الأم" ومن بين المواضيع التي عالجها في هذا الكتاب نشأة الحركة الوطنية قبل 1954م ودورها إبان الثورة، ومن جانب آخر ذكر لنا السياسة الفرنسية المتهججة في الجزائر والتي نتج عنها ظهور مقاومة الأمير عبد القادر وثورات الفلاحين، وختم كل موضوع بخاتمة والتي هي عبارة عن نتائج توصل إليها، إضافة إلى موضوعات أخرى مثل ظهور الأحزاب الوطنية "نجم الشمال الإفريقي" و "جمعية العلماء المسلمين".

وكان الغرض من تأليف هذا الكتاب هو إبراز الحقائق التاريخية خاصة بالحركة الوطنية والتي تميزت بنوع من الغموض<sup>(13)</sup>.

- شعوب وقوميات: لقد آمن "أبو القاسم سعد الله" بفكرة القومية (الوطنية) منذ بداية الخمسينات، لهذا جاء عنوان كتابه "شعوب وقوميات" فأناء دراسته جذبه الصراعات القومية ولاسيما في العصر الحديث ومن ذلك الوحدة الألمانية والاطالية، والحرب اليونانية والصرب وبولندا ضد القوى الخارجية، ومن ذلك أيضا الصراعات القومية بين بريطانيا والهند وهولندا واندونيسيا بالإضافة إلى صراع فرنسا والجزائر فوقف مؤلفنا هذا منذ ذلك الحين ضد استعمار بلادنا وتطلع إلى عهد من الحرية والاستقلال وكان ذلك في معناه الواسع جزء من الحركة قوامها التحرير الوطني وكان جزءا من الحركة العلمية ضد التسلط والسيطرة والاستغلال.

ولذلك ركز "سعد الله" في هذه الأبحاث التي جمعها في هذا الكتاب على عناصر الصراع القومي وسواء كان الحديث عن حملة "الإسكندر الأكبر" ضد الهند وفارس أو عن آراء بوليباس في الحضارة والقوى المحركة للتاريخ، أو كان الحديث عن العلاقات البريطانية الهندية، والهولندية والاندونيسية أو كان الحديث عن المعسكرين الغربي والشرقي كما ظهر

بعد الحرب العالمية الثانية، فإن خط السير في هذه الأبحاث واحد، وهو مسيرة الشعوب منذ القدم نحو التحرر.

ومن المواضيع التي عالجها هذا الكتاب منها الحرب الإيطالية على ليبيا 1911-1912م. وإن معالجة موضوع الحرب الإيطالية على ليبيا جعل "سعد الله" يرجع إلى فهم الخلفيات القومية لبعد النزاع في كلا البلدين المعنيين فبدأ بذكر المطامع الإيطالية القومية وكان من أسباب هذه الحرب أن إيطاليا شعرت أن الاحتلال العسكري أصبح ضروريا لتحقيق أهدافها مع حلول 1910م ومن جراء هذه الحرب قام الشباب التركي أي "تركيا الفتاة" والمسألة الطرابلسية سنة 1908 حسبه.

- بحوث في التاريخ العربي الإسلامي: لقد جمع "أبو القاسم سعد الله" العديد من البحوث في كتابه "بحوث في التاريخ العربي الإسلامي" والجامع بينها أنها تتناول قضايا العرب والمسلمين في مساحة جغرافية واسعة وفي أزمنة مختلفة سيما الحديثة والمعاصرة، فمنها بحوث عن بلاد الشام وأخرى عن الجزيرة العربية وثالثة عن الهند ورابعة عن المغرب العربي، ومنها ما تناول موضوعات عامة شملت مناهج البحث أو وسائل التواصل في الحضارة الإسلامية، ومنها قراءات وصفية ونقدية في نصوص أجنبية عن أحوال العرب والمسلمين، كما تضمن حديث "سعد الله" عن بعض قادة الرأي الذين لعبوا أدوارا في التاريخ العربي الإسلامي، وتركوا العبرة للأجيال اللاحقة، كما أنها مجموعة بحوث تحمل هموما تقضي مضجع كاتبها وهو يحاول فهم ما كان عليه العرب والمسلمين من قوة وتأثير، وما هم فيه اليوم من استجابة وضعف وخذلان رغم ما لديهم من إمكانيات وطاقات بشرية وطبيعية ومادية تجعل منهم قوة يحترمها الصديق ويخشأها العدو، فحاول "سعد الله" إبراز وضع العرب والمسلمين في هذه البحوث ولم يكن متشائما في نظريته إلى المستقبل العربي الإسلامي، ومن هنا هو يدعو إلى الاقتداء ببعض القادة سواء أولئك الذين هم محور بعض البحوث، أو غيرهم لأنهم كانوا يعملون بروح التحدي من أجل مستقبل أفضل لكل إنسان حيثما كان، فمثلا الفرق بين -العمانيين وبين الموريتانيين- وهم يبحثون عن ذاتهم كأمة، فطريقة بحث كل منهم تختلف لان كل واحد منهم يحاول جاهدا أن ينتهي إلى انه هو الحكم على التاريخ، وعلى حد قول "سعد الله" أن القطرية أو الإقليمية

التي ولدتها وغذتها وضحمتها الوطنية الضيقة المنافسة لعالمية الإسلام هي المسؤولة إلى حد كبير عن ما وصلت إليه الأمة المسلمة من التشتت الذي أفضى بها إلى الضعف والهوان، وقد اجتمع على هذا التشتت عوامل أخرى كالاستنجد بالأجنبي وفقدان الثقة بالنفس وتكرار التجارب الخاسرة أو المآسي دون تفاديها أو التعلم منها.

درس "سعد الله" مفاسل القوة والضعف في التاريخ وتوصل مثلا إلى أن تدهور الخلافة كان لأسباب موضوعية يجب ألا تتكرر، وإن الاستعمار لم ينجح في بلادنا إلا لأننا كنا مستعدين لاستقباله فقرر في كتبه ألا يتحدث عن ذلك ثانية، وإن أمثال لجنة الاتحاد والترقي لم يعد لها مكان، وإن معاهدة "سايكس بيكو" ووعده بلفور وهزيمة 1948م يجب أن لا تتكرر، ومع كل هذا فإن الواقع يكذب هذا الادعاء فيذكر "سعد الله" أن المسؤولين ومستشاريهم يكررون نفس المآسي ويرتكبون نفس الأخطاء وهم يحملون معهم شعوبهم على الهزيمة بوسائل القمع والتزييف، بل ويجعلونها تكيل لهم المدح بدل النقد.

- أفكار جامحة: يحتوي هذا الكتاب على أبحاث ومقالات في أغراض ثقافية وأدبية وفكرية شتى، وهو يشبه كتاب منطلقات فكرية إلا أن هناك فروقا بينهما في تناول والتنوع.

تحدث "سعد الله" في هذا الكتاب عن الوحدة بأنها ولدت في الجزائر عندما كانت تعيش في ظرف خاص وسميت بالثقافة الشعبية، والتي تعني التقوقع الذاتي والعودة إلى الأصول، كما تعني رفض فكرة الوطن الواحد (المغرب العربي)، كما تطرق إلى القومية العربية والوحدة الإسلامية التي رحبت بها بعض الجهات والأفراد المؤمنين بها.

يحتوي الكتاب على بحث المدارس الثقافية في المغرب العربي<sup>(14)</sup>، والذي يعتبره "سعد الله" من أهم ما كتبه عن هذه القضية، حيث ركز أكثر على مدارس الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، أي في العهد العثماني، وأجرى مقارنة بين مدارس الجزائر والمغرب وتونس، وبذلك يذكر لنا المراحل التي مرت بها المدرسة التقليدية التي كانت من 1820-1848م مروراً بالمدرسة المخضمة 1848-1880م والتي يقول عنها أنها أضعف المدارس بسبب قلة إنتاجها، أما المرحلة الثالثة فهي المدرسة المستنيرة 1880-1914م وتليها المدرسة الإصلاحية 1920-1954م والتي يعتبرها من أهم المراحل بحيث تمثل تنويعا لجهود كثيرة

بدأت منذ الاحتلال الفرنسي وانتهت ببدء الثورة التحريرية، وهي الفترة التي انتصرت فيها اللغة العربية.

وفي هذا المؤلف يورد لنا "سعد الله" عن حياته وعن تجربته الأدبية وتعامله مع اللغة، كما يحدثنا عن ذكرياته مع الأستاذ "عمر الدسوقي".

- منطلقات فكرية: وهو عبارة عن مجموعة من المقالات والأبحاث عن الثقافة والقومية في الجزائر والوطن العربي وإفريقيا، والصين، كتبها في تواريخ ومسببات مختلفة، فضمها إلى بعضها البعض في شكل كتاب لكي يسهل الحصول عليها.

والجامع المشترك بين هذه المقالات والأبحاث هو الرغبة في الكشف عن منطلقات فكرية يرد بها اعتبار الماضي وتراد منه آفاق المستقبل، فهي تتناول قضية الثقافة القومية في البلدان والمناطق المشار إليها، وهي جميعا تتناول حيرة هذه الثقافة هناك بين تيارات متعارضة بل ومتصارعة أيضا، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المقالات والأبحاث تكشف عن موقف الإنسان من قضايا عصره وهو موضوع يبدو لبعض الأجيال متناقضا وغير أصيل وقد تجد له أجيال أخرى مختلف المبررات.

كما يتضمن مقالة تحت عنوان "الجهاد الثقافي" وهي عبارة عن السيرة الذاتية "لسعد الله" وأهم المدن التي زارها وكيفية إعداده لأطروحاته سنة 1962م والتي كانت بعنوان الحركة الوطنية الجزائرية م<sup>(15)</sup>.

كما يتطرق إلى نماذج من التفكير التقدمي عند بعض الجزائريين<sup>(16)</sup> أمثال "عبد الرزاق بن حمادوش"، "احمد بن عمار"، "محمد بن العنابي"، "حمدان خوجة"، "الأمير عبد القادر"، "المولود بن موهوب"، والمستخلص من هاته النماذج هو اجتيازها بحيوية الفكر بالرغم من الركود الذي أصاب العالم الإسلامي قبل احتلال فرنسا للجزائر، فكانوا مجاهدين ومدافعين عن أرض الإسلام.

- في الجدل الثقافي: يكاد يكون هذا الكتاب امتدادا لأخويه (منطلقات فكرية وأفكار جامعة) من حيث المحتوى والرؤية، تشمل موضوعات الكتاب آراء ومناقشات لقضايا فكرية وثقافية وأدبية عاشها "سعد الله" خلال السنوات القريبة الماضية، كما تشمل على انطباعات حول مواقع وبلدان زارها مثل سوف والاوراس، وليس فيه سوى بحث واحد مترجم تحت

عنوان "علاقة الحركة الصهيونية بجماعة (تركيا الفتاة) "أضواء جديدة"، والتي يتحدث فيها عن إقامة الكيان الصهيوني بعد تمزيق الدولة العثمانية على أرض فلسطين واستعمال كافة أنواع النفوذ، وكاتب هذا البحث البروفيسور روبرت أولسن وهو أستاذ تاريخ الشرق الأوسط بجامعة "كونتاكي" بأمريكا، فقام "سعد الله" بترجمته إلى العربية.

ومن بين المقالات أيضا التي احتواها الكتاب مقالة "نكبة ثقافية" وهي عبارة عن ضياع حقيقة "سعد الله" التي تحتوي على جزء كبير من التراث الوطني وتراثه الشخصي الذي جمعه خلال سنوات طويلة من حياته<sup>(17)</sup>.

كما تحدث سعد الله عن الثورة الجزائرية في الفكر العربي، وهي مقالة نشرت في عدة مجلات ودوريات، وقد تناول فيها عدة نقاط من بينها: دور المشرق العربي أثناء الثورة التحريرية، وأوضاع الوطن العربي سنة 1948م، والذي كان يعيش فراغا سياسيا وفكريا<sup>(18)</sup>.

- قضايا شائكة: أما كتاب "قضايا شائكة" فهو عبارة عن مجموعة من الأحاديث في شؤون الفكر والأدب والتاريخ، وتتناول نقاط شتى من هموم الإنسان العربي المعاصر، وشواغل المثقف العربي نحو قضايا عصره وأمته، فارتأى "سعد الله" أن يجمعها في كتاب وسماها بالقضايا الشائكة ورغم أنها تحدد هويتنا وتقرر مصيرنا.

كانت هاته الأحاديث مقدمة للعديد من المجلات والجرائد في أزمنة مختلفة. تضم مجموعة من الأسئلة التي طرحت على "سعد الله" وتم الإجابة عنها من خلال جريدة الشعب، العرب، ومجلة الكفاح العربي، بيروت والوطن العربي، جريدة الجزائر (الأحداث) وفي الأخير يتقدم بالشكر لكل الذين وضعوا فيه ثقتهم الفكرية وحملوه بأسئلتهم من أجل أن يعبر عن همومه في صحفهم ويرجو أن يكون تحاوره معهم قد أسهم في توضيح بعض المواقف التي تهم القارئ العربي في هذه المرحلة الحرجة من حياته<sup>(19)</sup>.

- هموم حضارية: عند قراءتنا لكتاب هموم حضارية نجده يعالج قضايا على المستوى الوطني والقومي والعالمي، ففي الوطن يدرس موضوع الديمقراطية، أما في الوطن العربي فيحدثنا عن ذلك الصراع القوي بين العرب والغرب الذي احتل أراضينا ومقدساتنا وحرماننا حتى توصل إلى

فرض إرادة دولية على العرب، وهو نوع من الانتداب أو الحماية، ومن بين المقالات التي عالجها هذا الموضوع هي انشغالات مثقف عربي معاصر، أقيمت في ندوة عقدت بالرباط. أما على المستوى الدولي فكان العالم يعرف انهيار الاتحاد السوفياتي وتحرير أوروبا الشرقية من الشيوعية.

فالكتاب مقسم إلا ثلاثة محاور: المحور الأول يستمد مادته من أزمة أو حرب الخليج وانعكاساتها وذيولها، ومحور يستمد مادته من تحركات المؤلف وانطباعاته وأحكامه على قضايا جزئية أو كلية حدثت في الوطن أو خارجه كما سبق الذكر، أما المحور الثالث فهو مجموعة أبحاث تولدت عن نشاط علمي ساهم فيه "سعد الله" في ملتقيات وتجمعات عديدة، ومن بين هذا وذاك نجد بحثين مترجمين لهم درجة من الأهمية، أحدهما عن احتمالات الاتحاد بين الدول العربية، كتبه المؤرخ الشهير "فيلب حتي" منذ خمسين سنة، وهو بحث يقدم إرهابات للوضع الذي نعيشه اليوم في البلاد العربية وهي الهلال الخصيب، الجزيرة العربية، مصر، المغرب العربي، وتلخيص الأحداث التي كانت تمر بها المنطقة.

أما البحث المترجم الثاني فهو عن الأدب الفرنسي في شمال إفريقيا كتبه باحث متخصص وهو "جورج جوايو" منذ أكثر من ثلاثين سنة، فهو بحث جدير بالمطالعة ليعرف القراء أن الأدب الجزائري الحقيقي هو المكتوب باللغة العربية.

وهذا الكتاب هو الرابع من السلسلة التي بدأت بمنطلقات فكرية مروا بأفكار جامحة، ثم في الجدل الثقافي هي سلسلة تحتوي على أبرز مساهمات "سعد الله" في الساحة الفكرية والثقافية الوطنية منها والعربية أثناء ممارسته للبحث الأكاديمي في التاريخ من أجل ربط ماضيه بحاضره لأنه لا يمكن فهم حاضرنإ إلا بالانغماس في ماضينإ<sup>(20)</sup>.

- خارج السرب: يحتوي هذا الكتاب على مقالات وخواطر متنوعة تناولت مواقف وأنشطة، وهناك مقالات عن اللغة العربية والتعريب وأخرى عن الثقافة والحوار والتاريخ والعولمة وعن بعض الأشخاص الذين كان لهم دور هام في القرن العشرين.

ولقد سمى الكتاب "خارج السرب" لأنه عنوان يصدق في أغلبه على محتواه، ومن المواضيع التي عالجها "سعد الله" في هذا الكتاب تخص الجزائر وشخصياتها، منها فقيه العلم "الشيخ التليلي" حيث يورد لنا سيرته وحياته ومؤلفاته التي بلغت حوالي خمسة عشر

تأليفاً، كما تحدث عن مجلة الشهاب التي أسسها "عبد الحميد بن باديس" أوائل العشرينيات من القرن العشرين بعد أن تعرض لحياة "ابن باديس" ومساره العلمي وكذا المواضيع التي كانت تحمله جريد الشهاب من شعارات وآيات قرآنية، ومن التراث العربي الإسلامي فهي خاصة بابن باديس ومشروعه الإصلاحى للجزائر، وبهذا أصبحت الشهاب مدرسة متكاملة من عدة نواح. ومن بين الشخصيات التي تكلم عنها "سعد الله" الدكتور "أحمد صاري" الذي كتب عن تاريخ الجزائر فكان محط إعجاب لدى "سعد الله" مما جعله يحلل كتبه دارساً لمواضيعها وأسلوبه، فهو بدوره تعرض في كتاباته لشخصيات عديدة منها "مبارك الميلي"، "ابن باديس"، "وابن الموهوب" الذي كان لهم دورا بارزا في تاريخ الجزائر المعاصر وكذا "الأمير شكيب أرسلان" الذي امتاز بعقيدة الإسلام وروح القومية وتأثيره الخاص على الحركة الوطنية، "وشارل أندري جوليان".

كما تضمن الكتاب مقالة تحت عنوان "جزائريون في الثورة العربية بالحجاز" 1916-1919م توضح لنا مشاركة الجزائريين في الثورة العربية والأوضاع التي كان يعيشها المشرق الإسلامي في ظل النفوذ البريطاني، ودعم المواقف التي قدمها كل من الشيخين "الطيب العقبي" و"البشير الإبراهيمي"، ومن بين الجزائريين الذين كانوا حاضرين في الثورة العربية فهم سواء يمثلون المهاجرين إلى الحجاز هروبا من الجور الفرنسي في بلادهم، أو كانوا موفدين رسميين، إلى جانب هذا كان هناك جزائريون متحفظون من الثورة العربية إذ رأوا فيها خروجاً عن الصف الإسلامي في وقت تحتاج فيه الأمة إلى جمع الصفوف لمواجهة الخطر المشترك<sup>(21)</sup>.

- حوارات: الكتاب عبارة عن حوارات أجراها "سعد الله" في العديد من المجلات والجرائد، وكان الهدف منها إصدارها في شكل كتاب، وهذا من أجل الحفاظ على مجموعة من الأفكار والآراء المكتوبة بقلمه، ولكي تظهر خالية من الأخطاء والتأويلات وإساءة تصرف الآخرين وعدم التأثير بالشخص المحاور وألوان فكره وطابع شخصيته وصور حركاته وانفعالاته، فمن خلال قراءتنا لهذه الحوارات يظهر لنا أن إجابات "سعد الله" نابعة من ذاته وطبقا لقناعته دون ضغط نفسي أو زمني.

موضوعات الحوار كانت غالبا من وحي المرحلة التي عاشها في البلاد أو سلطت فيها الأضواء على شخصيته إذ اجتاحت الجزائر خلال فترة الحوارات موجات فكرية واجتماعية

وثقافية هامة تمثلت في النظام التربوي، مسألة اللغة والهوية، تعدد الأحزاب والصحف والآراء والترشيحات، كما عرفت الجزائر عنف أحداث 1988 و1992م.

فقد فضل أن يرتب هذه الحوارات من الأقدم إلى الأحدث، أولها سنة 1976م وآخرها 2004م ولكي يستطيع القارئ تتبع مواقف "سعد الله" من قضايا الساعة من تسلسل وتطور الأحداث التي عرفتها الجزائر والوطن العربي والأمة العربية والإسلامية.

فلقد سبق أن أصدر مجموعة أخرى من الحوارات تحت عنوان "قضايا شائكة" التي سبق وأن تحدثنا عنها، أما الحوارات الحالية فهي القسم الثاني من القضايا الشائكة ولطول المدة بينهما ارتأى أن يسميه حوارات، فهي في نظره أفضل أنواع التعبير الدالة على حقيقة أغوار النفس الإنسانية، ومن المجالات والجرائد التي حاورها سعد الله نذكر جريدة الجمهورية، المجاهد، المسار المغربي، العالم، الخبر...

وفي الأخير يقدم الشكر إلى كل من الصحفيين الذين طرحوا عليه أسئلتهم فبفضلهم استطاع بحث همومه وكشف مكنونه فبذلك يكونوا في هذا العمل شركاء في خدمة الثقافة والحقيقة<sup>(22)</sup>.

- مسار قلم: بالإضافة إلى الكتب المؤلفة السابقة الذكر، فقد اهتم بتدوين مذكراته من أجل إبراز سيرته الذاتية حيث أورد لنا هذه اليوميات في كتاب تحت عنوان "مسار القلم" وكان هدفه من إعادة نشرها هي استفادة الجيل الحاضر والجيل اللاحق والذي سيكون أكثر تعطشا لمعرفة تراث أجداده، وليكون عبرة لهم يقتدى بها، كما أنها تمثل مرحلة من مراحل العمر الجميلة الذكرى، فقرر إظهارها للناس في جزأين خشية أن تضيع أو تعبت بها الأيادي العابثة، وقد جرت أحداث هذه اليوميات في القاهرة أيام كان "سعد الله" طالبا في الليسانس والماجستير 1955-1960م.

كما كتب هذه اليوميات متقيدا باليوم والشهر والسنة، فكل حادثة أو موقف إلا وذكر تاريخها وساعتها والمكان الذي وقعت فيه.

من خلال هذه المذكرات ذكر "سعد الله" أن هناك جزأين يريد إضافتهما إلى الأجزاء الأخرى لعلها تعود على جيلنا هذا بالمنفعة والاعتداء<sup>(23)</sup>.

- مجادلة الآخر: ومن بين الكتب التي قام "أبو القاسم سعد الله" بتأليفها أيضا كتاب "مجادلة الآخر" الذي هو عبارة عن مجموعة من البحوث والمقالات التي كتبها في أغلبها عن قرب من الأحداث وعن مشاهدة وممارسة، لأنه رأى أن بعض الآراء كانت مغلوطة ومع ذلك أصبحت سائدة، لأن الطرف الآخر له من الوسائل ما يقلب به الحقائق ومن الجبروت ما يعكس به المنطق، وأمام هذا التصادم الفكري والسياسي الإعلامي حاول المؤلف الإسهام برأيه فيما يعرف بالصدق وطرح بعض القضايا الحساسة التي تعبر عن موقف وتصدر عن بيئة وتهدف إلى إيقاظ الشعب.

فإن هذا الكتاب هو إحصاءات معرفية بيننا وبين الذين لهم رأي مخالف، وهي تضاف مثلا إلى كتاب "خارج السرب".

والحقيقة أن هذه المقالات ليست مواجهات مع الآخر بل هي حقل معرفي وخليط من المواضيع الراهنة، وأخرى تاريخية وثالثة مترجمة ورابعة من نوع تقديم كتاب أو إبداء ملاحظات، وكلها جاءت لخدمة تيار ونسبنا لن نعيد عنه وهو التيار الوطني العربي الإسلامي<sup>(24)</sup>.

- الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري: وإلى جانب كتاب مجادلة الآخر قام "سعد الله" بالكتابة لأبرز وأهم الشخصيات الجزائرية، نخص بالذكر "الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري" الذي تناول المؤلف بدراسة حياته وآثاره الموجودة التي كاد النسيان أن يأتي على هذه الشخصية الهامة في تاريخنا الثقافي، فقد عاش ابن حمادوش خلال القرن 12هـ/18م وأسهم فيه برحلاته وكتاباتاته وتجاربه الطبية وكان مسجلا للأحداث المعاصرة ومشاركاً فيها، ورغم الركود الذي أصاب الحياة الثقافية في العالم الإسلامي، إلا أنه استطاع أن يترك تطلعات واثار واضحة، وقد عاش ابن حمادوش حياة فقيرة عانى منها جسديا وفكريا وكانت الضحية في ذلك هي كتبه وأوراقه التي لم يصل "سعد الله" منها إلا القليل.

وقد بدأ اهتمام المؤلف بحمادوش منذ حوالي عقد من الزمن، أثناء بحثه عن الذين أسهموا في الحياة الثقافية الجزائرية، سواء كانوا من المشاهير أو من المغمورين، أما ابن حمادوش فكان لاهتمامه بالثقافة العلمية من طب وصيدلة وفلك وحساب في عصر سادت فيه الثقافة الفقهية والأدبية.

كما ذكر "سعد الله" أن هناك من كتب عن ابن حمادوش قبله مثل "ليكليك" الذي ترجم لابن حمادوش كتابه سماه "كشف الرموز" و"كولان" الذي وضع عنه رسالة دكتوراه في الطب غير أنهم لم يستفيدوا من رحلته وبعض آثاره الأخرى، وكان هدف المؤلف من الكتابة لابن حمادوش إبراز ما ظل عن حياته ومساهمته العلمية ومنزلته بين معاصريه غامضا ومحدودا، فاعتقد أنه بتقديمه لهذه الدراسة يكون قد أضاف جديدا ليس فقط لشخصه ولكن إلى عصره ومعاصريه أيضا.

كما أن هذه الدراسة تعتبر مساهمة أخرى لإلقاء الضوء على الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، بعد كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي" وكتاب "ابن العنابي" رائد التجديد والإصلاح الإسلامي"، وفي سيرة ابن حمادوش ما يدل على أنه كان مثقفا واعيا نزيها، أليس هو القائل: "كان من فضل الله علي أن لم أجعل علمي سلما للعالم ولم أنل به شيئا، ولم أمدح أحدا للطمع" وما أحوجنا اليوم إلى المثقف الحر الذي يسير في هذا الدرب ويتبين هذا الموقف.

لقد تناول "سعد الله" دراسة هذه الشخصية المهمة في تاريخ الجزائر في كامل جوانبها، وقد جعل هذه الدراسة مقدمة لتحقيق الرحلة ولكن فيما بعد ونظرا لحجمها ومحتواها قرر إصدار هذه الدراسة منفصلة عن الرحلة<sup>(25)</sup>.

تاريخ الجزائر: المقاومة والتحرر 1830-1962م: أثناء بحثنا وقراءتنا لكتب "سعد الله" وجدنا كتابا قيما كان بمثابة خلاصة عن تاريخ الجزائر، وكان تحت عنوان "خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة والتحرر 1830-1962م".

وقد عالج هذا الموضوع بسبب رؤيته أن الكثير من الدارسين لتاريخ الجزائر عشية الاحتلال لم يتعرضوا للأوضاع الخارجية وتأثيرها على البلاد وهذا خطأ كبير في نظره، فالواجب معرفة نظام الحكم وعلاقته بالشعب والقوى الاقتصادية والاجتماعية المحركة لدواليب السلطة والمجتمع، ولهذا حاول تلخيص الأوضاع للدخول لموضوع "المقاومة والتحرر".

وبهذا تعرض إلى الأوضاع من الناحية الإدارية بحيث وصفها بأنها كانت دخيلة ومستبدة على رأسها "حسين باشا" الذي حكم الجزائر في تلك الفترة وغيره من الحكومة والديوان كالجيش الانكشاري والبحارة، والخلاصة أن النظام الجزائري العثماني عشية الاحتلال كان لا يراعى إلا مصالحه الخاصة، وكان الشعب أو الرعية في حالة تغيب مقصود.

وقد وصف "سعد الله" المجتمع الجزائري في 1830م مجتمعاً ريفياً في أغلبية ولم يكن للمدن دور تلعبه في الضغوط السياسية ولا في المفاوضات، لذلك بقيت السلطة المركزية تدير عن جهل وغطرسة شؤون الأمة إلى أن غرقت البلاد في الاستعمار، لذلك انطلقت المقاومة من الأرياف<sup>(26)</sup>.

عائين سعد الله تاريخه الوطني والقومي فهاله هذا التاريخ وأغراه بمزيد من البحث والتنقيب وكانت المادة التي عالجها مادة علمية هامة وقيمة، لم تدفع به إلى السكونية أو الاعتزاز بالذات، وإنما عاينها على منهج أكاديمي وموضوعي.

كانت هذه دراسة في بعض مؤلفات "أبي القاسم سعد الله" وآرائه، وقد تختلف من باحث لآخر، لكن تبقى لهذا المؤرخ بصمة فاعلة في التاريخ الوطني والعالمي، وهي تفتح مجالات أخرى للبحث.

## الهوامش

- 1- أبو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط2، 2005، ص، 44، 45
- 2- نفسه، ص، 48
- 3- سعد الله، أفكار جامعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2005، ص 179
- 4- سعد الله، منطلقات فكرية، ص، 51
- 5- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2005 ج1، ص 13
- 6- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص، 37
- 7- نفسه، ج2، ص، 105
- 8- نفسه، ج8، ص، 409
- 9- سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2005، ج2، ص، 06
- 10- نفسه، ج1، ص، 142
- 11- سعد الله، الحركة الوطنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2005، ج4، ص، 09
- 12- نفسه، ج2، ص، 08
- 13- Saad allah, la montée du nationalisme en algerie, dar elgharb islami, beirout, 2eme edition, 2005, p 194-193
- 14- سعد الله، ملواس الثقافة العربية في المغرب العربي، جريد الثقافة، العدد 79، جاتفي - فيفري 1984، انظر آلو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، المرجع السابق، ص 55
- 15- سعد الله، منطلقات فكرية، المرجع السابق، ص، 44
- 16- هي محاضرة ألقاها في الملتقى السادس للفكر الإسلامي بالجزائر، صيف 1972
- 17- سعد الله، في الجدل الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2005، ص، 332
- 18- سعد الله، جريدة الشعب، العدد، 7742، 15-09-1988، ص، 29
- 19- سعد الله، قضايا شائكة، أحاديث في شؤون الفكر والأدب والتاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 2005، ص، 161
- 20- سعد الله، هموم حضارية، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص، 275
- 21- سعد الله، خارج السرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص، 295
- 22- سعد الله، حوارات، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص، 223
- 23- سعد الله، مسار قلم (يوميات)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص، 298
- 24- سعد الله، مجادلة الآخر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص، 09، 30
- 25- سعد الله، الطي الرحلة ابن حمادوش الجزائري "حياته وآثاره"، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص، 133
- 26- سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، "المقاومة والتحرر 1830-1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2005، ص، 384